م انقذوا يوم المُغيبات سيكم وابناء رمط الكلب قُرعُ المبارك
فردم حذارَ الشليين اذ سموا بأرعنَ طودٍ مشمخرِ الحوارك

وهذا القدر يكفي

وقبل ان ننهي الكلام نرغب الى المسيو بريل ان يصلح او يبدل بعض الحروف التي يستعملها للطبع فان نقطها لا تكاد تظهر ولو استعنّا بالمجهر وذلك لدقتها. ولصوقها بالحرف مثل نقطة الباء والجيم والضاد والغين. وهذا في كل صفحات الكتاب ولذلك تصعب القراءة وتفقد لذة المطالعة. ولنا الامل ان المسيو بريل يعير ملاحظتنا هذه اذناً صاغية

فنمحض العلامة بيثن والمسيو بريل خالص شكرنا ونتمنّى لهما اتمام العمل في الاجل القريب خدمة للعلماء والعلم

الاعتراف في اوائل النصرانيّة

للاب يوسف خليل اليسوعي

اجتمعنا يوماً برهطٍ من الفضلاء فتجاذبنا اطراف الحديث في امور شتّى حتى افضى بنا الكلام الى بعض عقائد الدين المسيحي فابدى لنا احد الحاضرين ما يخالجهُ من الشكّ ويعترضهُ من المرية في امر الاعتراف فقال: بلغني عمّن يُوثق برأيهم ويُركن الى علمهم انّ لا أثر لهذا السرّ في اوائل النصرانيّة وان الكنيسة لم تعلمهُ ولم تعرفهُ في خلال القرون الاولى. انّما اختلقهُ في الجيل الخامس او السادس اهل المآرب والغايات وتضافروا على نشرهِ بين السذّج. وبعبارة اخرى: كل من حاول إثبات وجود هذا السرّ عند النصارى الاقدمين ورام الاستناد بذلك على تصرّف آباء الكنيسة ومعلميها واترابهم في العصور الاولى يتحرّى المحال فيُردّ بالخيبة. فني بادئ بدء لم نعجب من هذه المزاعم ولم نحفل بها لانها محض اكاذيب وترهات وقفنا عليها مراراً في كتب الملحدين ودحضها عدد عديد من العلماء الاثبات انّما:

لقد اسمعت لو ناديت حيّاً ولكن لا حياة لمن تنادي

فاجبنا في الحال بما رأيناهُ صواباً وما انفرط عقد المجلس حتى لبّينا اقتراح لفيف

المتحادثين بوضع مقالة نضنّنها شهادات راهنة تؤيد معتقدنا وتردّ بكيد كل مناقض مكابر . فتصفحنا التآليف العريقة بالقدم وكان اعتمادنا على اعمال الآباء القديسين تلك التي اجمع العلماء على صدقها وزلال موردها فتتبعناها في الستة الاجيال الاولى للنصرانيّة واقتطفنا منها ما وجدناهُ وافياً بالمرام وقد اثبتناهُ بحرفهِ واشرنا الى صفحتهِ في المجلّدات ليرجع اليهِ القارئ ويطالعهُ اذا رغب في مظنّتهِ . ويجدر بنا قبل المباشرة بايراد هذه الشهادات ان نبيّن باختصار حقيقة رسم سرّ التوبة من لدنه تعالى فعليهِ بنى الآباء حججهم ولولاها لأضربوا عن هذا الموضوع

طالما جادت رحمة السيّد المسيح مدة حياتهِ على الارض بمغفرة الخطايا لمن تاب اليهِ فيها وكفّر عنها ولكنهُ لم يرتضِ بذلك بل انهُ وعد بطرس (متى ١٦ : ١٩) وجميع الرسل (متى ١٨ : ١٨) بسلطة الحلّ والربط ثم بعد انتصارهِ على الموت وخروجهِ من ظلام القبر تراءى للامذتهِ وقال : « السلام لكم . كما ارسلني الآب كذلك انا ارسلكم . . . خذوا الروح القدس . من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تُمسك لهم » . (يو ٢٠ : ٢١ — ٢٣) فخوّلهم بهذه الكلمات قدرةً ليكسروا نير الخطيئة ويردّوا الخراف الضالّة الى حظيرة الربّ ويستمطروا نِعَم الله على ابنائه عقّروا اباهم ثم ندموا على ما اقترفوه من الذنوب . ولم يستثنِ الخاصّ الالهي خاطئاً او خطيئةً لان هذه العبارة : « من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم » وفي اصلها اليوناني « ἀφέωνται αὐτοῖς τὰς ἁμαρτίας » تدفع كل حصر وتقييد فهي عامّة ومطلقة . فيتحتم القول اذاً بموجب معناها البديهي واصطلاح الكتاب المقدس بان الخاطئ اذا ما تأهّب لهذا السرّ وقبلهُ على شروطهِ حُلّ من وثاقهِ ونال غفرانًا من الله ابيه . أجل ان طبيعتنا لا تسمو الى هذه السلطة ولهذا اذ لم يؤمن الفريسيون بالوهيّة السيد المسيح انكروا عليهِ كلامهُ للمخلّع : « يا رجل مغفورة لك خطاياك » قائلين : « من هذا الذي يتكلّم بالتجديف . من يقدر ان يغفر الخطايا الّا الله وحدهُ » (لوقا ٥ : ٢٠ — ٢١) . ولكن من لهُ ان يضع حدًّا لمواهب الرب وعطاياه . فانهُ يمنح ما يشاء لمن يشاء . وما لجبلتهِ الحقيرة الّا الاقرار بحكمتهِ وعدلهِ

واعلم ان سلطة الحلّ والربط دامت وستدوم في الكنيسة الى منتهى الاجيال لانّ الله لم يعطها فقط للرسل بل لخلفائهم الشرعيّين في اي زمان ومكان وُجدوا وإن

لم يصرّح الانجيل بذلك. نال الحواريون من سيّدهم هـذه السلطة كما نالوا سلطة تعليم البشر وغسلهم بمياه المعمودية واقامة سرّ الافخارستية وهذا كلهُ بقي وسيبقى في الكنيسة مع ان الكتاب المقدس لم ينبئنا شيئاً عن دوامهِ وانتقالهِ من الرسل الى من قام مقامهم. فيجوز لنا والحالة هذه لا بل يجب علينا القول بانهُ لم يُحرّم اخلاف تلامذة ابن الله من هذه السلطة لاسيما وان الداعي الى وجودهـا ما زال ولن يزال منبثًّا على الارض تتقاذفهُ القلوب والعقول والالسنة. فكم من الآثام والذنوب يرتكبها البشر كلَّ يوم فكرًا وقولًا وفعلًا. فلكل داء اذًا دواء ودواء الخطيئة سرّ التوبة

حسبنا الآن ما اشرنا اليهِ من رسم سرّ الاعتراف واعطاء سلطة الحلّ والربط الى الرسل وخلفائهم فبقي علينا ان نقوم بعبء ما تحرّينا ايضاحهُ ونُثبت استعمال التوبة في الاجيال الاولى من النصرانية ولذلك عُنينا بايراد بعض شهادات الآباء والمؤرخين وبذكرها تتابعًا ليكون القارئ على بيّنةٍ بان هذا السرّ كان اوانئذٍ منتشرًا في العالم المسيحي لكنّنا نستلفت نظهُ الى امرٍ وهو انهُ ندرت التآليف التي اتّصلت الينا من الجيل الاول بعد السيد المسيح فاذا ما استثنيتَ العهد الجديد فتكاد لا تجد كتابًا وُضع في الجيل الاول تفسيرًا للدين المسيحي واثباتًا لعقائدهِ لكننا على توالي العصور توالت المصنّفات وكثرت الشهادات المؤيدة لما نحن في صددهِ. فكفى بذلك تنبيهًا لكل مطالع لبيب

١ (الكنيسة السوريَّة): نستهلّ كلامنا عن هذه الكنيسة الاثيلة والعريقة في القِدَم بذكر القديس العظيم اغناطيوس الانطاكي ذاك الذي هرق دمهُ شهادةً للحقّ وبرهانًا للدين في غرة القرن الثاني (١٠٧م) واليك ما كتبهُ في رسالتهِ الى اهل فيلادلفية: «يغفر الله للتائبين اذا ما لجأوا اليهِ وتابوا رضى الاسقف». فيرضى الاسقف او بمشورته كما قرأناهُ في نسخة ثنية اشارة واضحة لاسيما في ايام الاضطهاد الى حكم الاسقف وفتواه في الخطيئة ومن اقترفها (١ — وقد اشتهر امر رسالة بُعثت الى يعقوب الاورشليمي وعُزيت الى اكليمنضوس الروماني لكنهُ ثبت الآن عند العلماء ان واضعها كان سوري الاصل والمنشإ وعاش في الجيل الثاني. فوجدنا فيها ما يلي: «قال القديس بطرس: اني اعطي اكليمنضوس سلطة الحلّ والربط التي خوّلنيها السيد المسيح. فما

١) اطلب اعمال الآباء اليونانيين (ج ٥ ص٨٣٢)

يحكم به على الارض يُحكم به في السماء لانهُ يربط ما يجب ربطهُ ويحلّ ما يجب حلّهُ». ثم يختم الكلام عن الاساقفة بقولهِ: «لهم السلطة بغلق ابواب السماء وبفتحها لانهم اصبحوا مفاتيح السماء» (١. وهوذا شهادة باهرة وبيّنة ساطعة نقتطفها من كتاب للقديس يوحنا فم الذهب في الكهنوت وشرفهِ. قال: «الكهنة هم أناس يعيشون على وجه البسيطة... لكنّهم كُلّفوا بتدبير الامور السماويّة وقد قلّدهم الله سلطةً لم يعطها الى الملائكة ورؤساء الملائكة لانهُ لم يقل لهم مثلما قال للكهنة: من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تُمسك لهم. اجل لانَّ لحكام الدنيا سلطةً ليقيّدوا الاجساد ويكبّلوها بالحديد انّما تلك السلطة التي يتكلّم عنها الانجيل تقع على النفس فتربطها. فصدرها السماء وعلاقتها مع السماء ولهذا كل ما يحكم به الكهنة يصادق عليهِ الله في السماء لان السيد يؤيّد حكم عبدهِ فلا حدَّ اذًا لسلطة الكهنة حتى في السماء بما ان الله قد قال: من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم... اعطى الآب الازلي ابنهُ الحبيب كلّ حكم وها اني ارى الابن يعطي الكهنة ما نالهُ من ابيهِ» (٢. ولم تخنّ علينا اعمال الآباء السوريين الموضوعة في اللغة السريانية بشهادات تُشير الى المعتقد الذي نبحث فيهِ. فقد اكتُشفت حديثًا تآليف القديس افراهاط الملقّب بالحكيم الفارسي واليك ما وجدناهُ في عظة لهُ القاها سنة ٣٣٧ م في التوبة وقد عبّر عمّا يقصدهُ بتشبيهٍ لطيف. قال: «لكلّ ألم دواء اذا اطّلع الطبيب النطاسي على حالة الداء. فلا يخجل اذًا من صرعهُ الشيطان من الاقرار بذنبهِ ومن العدول عنهُ واتخاذ الاعتراف دواءً لهُ». وقال ايضاً: «الخاطئ هو من ضرّجهُ جراحًا الضعفُ والتغافلُ في حربٍ قامت بها الاهواء عليهِ. فاذا رغب بالشفاء وباندمال جراحهِ فليعرضها على الطبيب الروحي وليتخذ ما يصفهُ لهُ من الادوية» (٣. وهذا ايضًا ما ذهب اليهِ القديس افرام العظيم في كتابهِ ضد الهراطقة وآرائهم الفاسدة (٤

---

١) اعمال الاباء اليونانيين (ج ١ ص ٤٦٤ و ٤٧٨)

٢) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٥٧ ص ٦٤٣)

٣) اطلب اعمال القديس افراهاط طبعة غرافين في باريس سنة ١٨٩٤ (المجلد الاول صفحة ٢١٢ و ٢١٥ و ٢١٨ و ٢٦٠)

٤) اطلب اعمالهُ المطبوعة في رومة سنة ١٧٤٠ (ج ٢ ص ٤٤٠)

وكان بودّنا ان نذكر شيئاً من كتب العلماء المنفصلين عن الكنيسة الكاثوليكيّة كعبد يشوع والبطريرك ميخائيل الكبير وغيرهما فانها تؤيّد ما نحن في صدده لكنّنا آلينا ألّا نتجاوز الجيل السادس منذ ابتداء النصرانيّة

٢ (كنيسة الاسكندريّة): توفي اكليمنضوس الاسكندري سنة ٢١٧ بعد ما قام بمهامّ كثيرة عُهدت اليه لانهُ كان ذا علم واسع وشهرة طائرة ورأي سديد. قال في بعض مؤلفاتهِ: «من يقبل ملاك التوبة لا يأسف ابدًا من عملهِ لاسيما عند ساعة الرحيل من هذه الدنيا ولا يخجل حينما يرى المخلص آتياً بجلالهِ وعظمتهِ» (١. اراد بملاك التوبة الاسقف او الكاهن المقام للنظر في امر الخطأة كما يظهر من قرينة كلامهِ. وكثيرًا ما يدعو اكليمنضوس هذا السرّ «بالتوبة الثانية» (٢

وفي نحو سنة ٢٣٠ صنّف أوريجانوس الشهير كتاباً شرح فيهِ العلاة الربيّة ولمّا وصل منها الى هذه الكلمات: «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر لمن اساء الينا» ذكر نصّ الكتاب المقدس في شأن الاعتراف ثم قال «ان الجحود بالدين وعبادة الاصنام والزنا خطايا جسيمة». وابتدأ يقبّح عمل: «الكهنة الذين» على زعمهِ «يتخذون سلطةً تعلو مقامهم ويمنحون المغفرة لمن اقترف هذه الذنوب الثلاثة» (٣. فيتّضح من هذا القول ان الكهنة كانوا يقومون في ايّامهِ بوظيفة الاعتراف ويحلّون من جميع الآثام حتى من الخطايا التي يرغب باستثنائها تبعاً لرأي المبتدعين. وقال ايضاً في عظتهِ ١٧: «اذا اقررنا بخطايانا ليس فقط لله تعالى لكن للذين لهم ان يداووا جراحنا وذنوبنا فان هذه الخطايا ستُغفر عند من قال: «سأُزيل الخطايا كالنهار» (٤—. وقد اخنى الزمان على كتب تفسيرهِ فلم يبقَ من بعضها الّا اسماً ومن بعضها قسماً وبين هذه كتاب للقديس اثناسيوس (٣٧٥) دحض فيهِ هرطقة نوفاسيان ثبت منهُ فقرةً: «من يعترف بذنبهِ في التوبة ينل المغفرة من لدن الكاهن بقوة نعمة المسيح» (٥. وكتب القديس كيرلّوس

١) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٩ ص ٦٤١ و ٦٥٣)
٢) اطلب ايضاً (ج ٨ ص ٩٩٦)
٣) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ١١ ص ٥٢٨ و ٥٢٩)
٤) اطلب (ج ١٣ ص ١٨٤٦)
٥) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٣٦: ص ١٢١٦)

في اوائل الجيل الرابع: « لاي سبب اعطى المخلّص تلامذتهُ سلطةً يخال انها حُفظت لهُ دون غيره ؟ لانهُ اراد ان يحلّوا ويربطوا الخطايا بعد قبولهم الروح القدس . . . واما حلّهم للخطايا فانهُ يكون على طريقتين العماد والتوبة » (١

٣ (كنيسة القسطنطينية) : اطاعنا المؤرخان سقراط وسوزومين عمّا كانت تجريهِ هذه الكنيسة في شأن سرّ التوبة . قال سقراط : « أُنيطت مهمّة الاعتراف بكاهن عُرف بالتُقى والعلم واصابة الرأي وذلك على اثر بدعة نوفاسيان » اما سوزومين فانهُ يؤكّد إقامة الكهنة لمنح سرّ التوبة قبل ذلك العهد وارتقاءها الى الاجيال الاولى للنصرانيّة . قال : « وبما ان الاقرار بالخطايا جهارًا اضحى وقرًا ثقيلًا على عاتق المسيحيين عيّن الاسقف كاهنة فضلاء لاستماع الخطايا ولارشاد المذنبين والحكم عليهم وحلّهم من قيود الاثام بعد الحتم عليهم بأداء فرض التوبة ومزاولة الاعمال التكفيريّة (٢

ولقد نهض عداة القديس يوحنا فم الذهب (٤٠٣) وزمّوهُ لانهُ قال في عظة : « اذا ارتكبتم الخطيئة فاندموا عليها وارجعوا اليَّ وانا اشفيكم » . (٣ وبذلك بيّنة لما الفهُ لفيف المؤمنين في تلك العصور

٤ (كنائس اسية الصغرى) : ليست شهادات معلمي هذه الكنائس باقلّ وضوحًا ممّا تقدّم لنا ايرادهُ . فلنثبت بعضها ليظهر جليًّا اتّحاد آباء الكنيسة في تعاليمهم في ايّ مكان وزمان وُجدوا . كتب فيرميليان اسقف قيصريّة قبّادوقية المتوفّى سنة ٢٥٢ رسالة الى القديس قبريانوس جاء فيها : « أعطيت سلطة حلّ الخطايا الى الرسل والى الكنائس التي أسسها الرسل ثم الى الذين خلفوا الرسل » . (٤ وعُرف القديس باسيليوس بهمّتهِ القعساء فيما يختص باسرار الكنيسة واقتبالها وحفظهِ على الدين بدون شائبة . وممّا قال في سر الاعتراف : « على الخاطئ ان يقرّ بذنوبهِ لمن كُلّف بتوزيع الاسرار » . (٥ وللقديس غريغوريوس النزيانزي عظة بليغة دحض فيها مزاعم الذين ينكرون على

١) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٧٤ ص ٧٢١)
٢) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٦٧ ص ٦١٣ – ٦١٧ و ١٤٥٧ – ١٤٦٠)
٣) اطلب الجامع طبعة هردوين (ج ١ ص ١٠٤٣)
٤) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٣ ص ١١٦٨)
٥) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٣١ ص ١٢٨٤)

الكنيسة سلطة غفران الخطايا .(١ وذكر القديس غريغوريوس النصيصي في رسالة لهُ انهُ أقيم في كل كنيسة كاهن لاستماع الاعتراف وللاقتصاص من الخطأة بمقتضى آثامهم » (٢ وعاش هؤلاء الآباء في الجيل الرابع للمسيح

٥ (الكنيسة الايطاليّة) : تلقّينا بينة قديمة في سر التوبة من كتاب دُعي : « بالراعي هرماس » ووُضع في منتصف الجيل الثاني فهاكها : « قال لي الموكّل على سرّ التوبة ان الرب الرحيم تحنّن على خليقته فرسم سرّ التوبة واقامني على توزيعه ولهذا . . اذا اقتاد احد الى هواجس الشيطان وسقط في الخطيئة فليقبل التوبة »(٣ . لكن مؤلف الكتاب المذكور اخطأ في ما زعمهُ بعد هذا ان من اقترف ذنباً وتاب عنهُ ونال المغفرة في الاعتراف ثم تورّط ثانيةً في وهدة المعاصي فلا تُغفر خطاياهُ ولا تُقبَل ندامتهُ . واننا نقرأ في قوانين هيبوليطوس وهي ترتقي الى اواخر الجيل الثاني او الى اوائل الجيل الثالث قولاً تُتلى يوم سيامة الاسقف واليك بعضها : « امنحهُ يا رب درجة الاسقفيّة واعطهِ روح الرحمة والسلطة لحلّ الخطايا » (٤ . وورد في كتاب « رسوم الرسل » ما نصُّهُ : « امنحهُ ايها الرب القدير روحك القدوس لكي ينال سلطة حلّ الخطايا حسبما رسمت وامرت . خوّلهُ القدرة لفكّ اي رباط كان كما اعطيت الرسل » . (٥ وقد نهض البابا كاليست في ابتداء الجيل الثالث وقاوم بدعة مافي وصرّح بان كل الخطايا تُحلّ وتُغفر اللهمّ اذا كان المذنب يندم عليها ويكفّر عنها (٦ وفي خلال سنة ٢٥٢ كتب البابا لاون الى تراودروس اسقف فريجوس الاسطر التالية : « ان الرحمة الالهية تأتي بنا وتساعدنا في التكفير عن الذنوب حتى لا نيأس من الحياة الدائمة وذلك ليس فقط بواسطة العماد لكن ايضاً بقوة دواء التوبة . فإنّ دنس احدٍ بقاء عماده فيمكنهُ ان ينال مغفرة خطاياه على شرط ان يحكم على نفسهِ ويقرّ بما فعل لانّ الرب يعين البشر بواسطة تضرعات الكهنة لا غير . ان المسيح الوسيط بين الله والبشر اعطى رؤساء الكنيسة سلطة لمعاقبة الذنوب

١) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٣٦ ص ٢٥٦ وما يتبعها)
٢) اطلب (ج ٤٥ ص ٢٢١ — ٢٢٢)
٣) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ٢ ص ٦١٤ — ٦١٩)
٤) اطلب كتاب الكاهن دوشان في مبادئ الرتب (الطبعة ٢ ص ٥٠٦)
٥) اطلب اعمال الاباء اليونانيين (ج ١ ص ١٠٧٣)
٦) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٣ ص ٩٧٩)

ولادخال من يعترف بباب السلام وللاشتراك معهُ بالاسرار بعد ما يطهر نفسهُ باعمال التكفير .... ويجب على الكاهن ان يضع وقر الخطايا عن منكبي الخاطئ ويردّ الابن الى ابيه قبل ان يداهمهُ الحمام.» (١ وقال القديس هيرونيموس في رسالته الشهيرة الى هليودوروس: «بكلمة الاساقفة خلفاء الرسل يتكوّن جسد المسيح . فهم الذين صبغونا بماء العماد وجعلونا مسيحيين وبايديهم مفاتيح ملكوت السماوات فلهم ان يدينونا قبل يوم الدينونة العظيم.» (٢ واثبت القديس امبروسيوس: «ان الله وحدهُ يغفر الخطايا لكنهُ يغفرها بواسطة الذين اعطاهم القدرة لحلّها وغفرانها ... ان الله اعطى الرسل سلطة مغفرة الذنوب ومن الرسل انتقلت هذه السلطة الى الكهنة دون سواهم. فبحقّ اذًا يطلبون الاستقلال بها وهي خاصتهم ليحلّوا الخطايا» (٣

٦ (الكنيسة الافريقيّة): يعلم كل مُطّلع على تاريخ الكنيسة وكل خبير بالحوادث الغابرة ضلال ترتليانوس في بعض عقائد الايمان منها انهُ لم يسلّم بمغفرة الخطايا الجسيمة فمن اقترفها كان لا محالة على زعمهِ من الهالكين ندم او اصرّ على ذنبهِ اعترف او لم يعترف. ولهذا قسّم الخطايا الى ثلاثة اقسام خفيفة ومتوسطة وجسيمة فزعم انّ لا سلطة للكنيسة لتحلّ من جحد الايمان وارتكب ذنب الدعارة وهرق دمًا زكيًا لكنّها تستطيع ان تغفر باقي الخطايا» (٤ . فممّا تقدّم يظهر ان ترتليانوس يقرّ بوجود سرّ التوبة ومغفرة الخطايا لكنّهُ يستثني بعض آثام فظيعة لا تشملها على رأيهِ تلك السلطة التي اعطاها السيد المسيح للرسل ولخلفائهم. فناهضهُ لفيف الاباء ودحضوا مزاعمهُ. وفي اثناء سنة ٢٥٨ استشهد القديس قبريانوس وكان نور عصرهِ قداسةً وعلمًا وقد عُرف بحزمهِ وعلوّ كلمتهِ فكثر عدد المؤمنين في زمانه في البلاد الافريقيّة . واليك بعض اقوالهِ في موضوعنا: «على كلّ ان يعترف بخطيئتهِ ما دام في قيد الحياة حيث تُقبَل توبتهُ واعمالهُ التكفيرية وتُمنح لهُ المغفرة بواسطة الكنيسة ...» (٥ واماّ القديس اغوسطينوس

---

١) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٥٤ ص ١٠١١ — ١٠١٢)
٢) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٢٢ ص ٢٥٣-٢٥٣)
٣) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ١٥ ص ١٦٢٩ ج ١٦ ص ٤٦٨ و٤٧٧ و٤٩٦)
٤) اطلب الاباء اللاتينيين (ج ٢ ص ٩٧٩ و١٠١٧ و١٠٢٤)
٥) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٤ ص ٤٨٦)

فانهُ اثبت سرّ الاعتراف في مواضع شتّى من تاليفهِ النفيسة نقتصر على ايراد القليل منها دفعًا للملل. قال في عظتهِ ٣٥١: « فليذهب الى الاساقفة كل من اخطأ فانهم استلموا في الكنيسة سلطة المفاتيح » (١. فعبّر بسلطة المفاتيح عن سلطة الحلّ والربط وقبول الخاطئ او ابعادهِ من الكنيسة. ولمّا زحف جيش القندال قصدَ الاستيلاء على اقاليم افريقية الشمالية وكان شعب القندال معروفًا اوائذٍ بشدة وطأتهِ فيسلب وينهب ولا يصون عرضًا. فهال الامر اهل البلاد ولاذوا بالفرار وكان بين من خاف فهرب بعض الكهنة فوبّخهم القديس اغوسطينوس على جبنهم وكتب بذلك رسالة بيّن فيها الخطر الذي يقع فيهِ اولئك « الذين يطلبون العماد او يتوبون الى الله ويرغبون بالتكفير عن خطاياهم ويسألون ان توزَّع عليهم الاسرار. فاذا كان الكهنة لا يهبّون الى تحقيق امنيّة هؤلاء الخطأة فيغرقون هاربين فما اعظم شقاء الذين يخرجون من هذه الحياة بدون عماد وحلّ » (٢ وهو كلام صريح في سلطة الكهنة بمغفرة الخطايا

٧ (الكنيسة الاسبانيّة): منذ عُقد مجمع « البيرة » سنة ٣٠٠ للمسيح وقرّر امورًا شتّى تتعلّق بمنح سرّ التوبة تواترت الشهادات المثبتة لهذا السرّ وذلك دفعًا لبدعة نوفاسيان التي تسرّبت بين طبقات الشعب. فلمّا تفاقم الامر نهض القديس باسيان اسقف مدينة برشلونة المتوفّى سنة ٣٩١ وبعث برسالة الى احد المتمسكين باهداب هذه البدعة فقال فيها: « تدّعي بان الله وحدهُ يقدر ان يحلّ الخطايا ويغفرها فبذا عين الصواب غير انّ الله هو مصدر سلطة الكهنة فما يأتي بهِ هؤلاء في سرّ التوبة يُعزى اليهِ تعالى. وان كان الامر بخلاف ذلك فلاي سبب قال الرب لرسلهِ: كل ما حللتموهُ على الارض يكون محلولًا في السماء. فاذا تلفّظ بهذه الكلمات اذا كان لا يسمح للبشر بالحلّ والربط؟ أتزعم ان هذه السلطة لم تُمنح الّا للرسل؟ فاذا كنت اصبتَ بقولك فالرسل فقط يقدرون دون غيرهم ايًّا كان ان يعتمدوا ويمنحوا الروح القدس ويغفروا الخطأة لان سلطة العماد ومنح الروح القدس وحلمٌ جزًا أُعطيت للرسل كما اعطيت لهم سلطة الحلّ والربط ». وهذا ضلال مبين (٣

١) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٣٩ ص ١٥٤٧)

٢) اطلب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٣٣ ص ١٠١٦ ج ٣٨ ص ٨٠٢)

٣) اطلب اعمال الآباء اللاتينيين (ج ١٣ ص ١٠٥٧)

٨ (الكنيسة الافرنسية): يخبرنا القديس ايريناوس الذي سُقّف على مدينة ليون ومتأقاتها في اواخر الجيل الثاني « ان بعض النساء انقدنَ الى آراء المراطقة ومشينَ على خطّتهم وسلّمنَ بتعاليمهم ثم رجعنَ الى الصراط المستقيم وسألنَ التوبة عن خطيئتهنَّ واقررنَ بذنبهنَّ جهاراً فأُدرجنَ في عدد التائبين ونلنَ المغفرة ». ولكن مَن قبلنَ الحلّة؟ فلم يبح لنا به القديس المذكور. وقال القديس هيلاريوس في شرحه لانجيل القديس متى: « ان السيد المسيح قلّد الرسل سلطةً لهم بها ان يربطوا البشر على الارض اعني به ان يتركوهم في قيد الخطايا او يحلوهم اعني به ان يفتحوا لهم باب الخلاص او يمنحوهم المغفرة ». (١ وقال جناديوس احد كهنة مدينة مرسيلية في الجيل الخامس: « من ارتكب خطيئة جسيمة بعد العماد فاني استحلفهُ ان يكفّر عنها جهاراً بالتوبة وبعد ما يقبل الحلّة من الكاهن عليه ان يدخل في تعداد الذين يتناولون جسد الرب » (٢

نمسك اليراع عند هذا الحدّ هرباً من الاطالة ودفعاً للسآمة مع اننا لم نذكر الّا يسيراً من كثير لكن فيما اتينا به كفافاً للمطالع وعبرةً للمستبصر فيتّضح لديه ان في تلك العصور القديمة عرفت الكنيسة سرّ التوبة وحثّت على الخطأة من بنيها بالخضوع الى قوانينه وشروطه وان الآباء قد اجمعوا الكلمة على دحض اهل البدع كالفي ونوفاسيان ومن حذا حذوهم لانهم رغبوا بوضع حدّ للسلطة التي اعطاها السيد المسيح لرسله وخلفائهم. اجل اننا لا ننكر ان طريقة منح هذا السرّ في تلك الأيام تختلف بعض الاختلاف عمّا يعهدهُ الآن الشعب المسيحي انما ذلك لا يتجاوز العوارض الخارجيّة. فاذا كان الامر على هذه الحال اذا كان التاريخ شرقاً وغرباً يثبتهُ ويفحم كل مقاوم وناكر فكيف يجسر البعض ويرمون الكلام على عواهنه ويرشقون بسهام الشكوى اساقفة وكهنة الجيل الخامس والسادس عازين اليهم الافتراء والتمويه والاختلاق؟ فاين بيّناتهم الساطعة وبراهينهم السديدة لتقابلها مع شهادات الآباء والمؤرخين منذ ابتداء الجيل الثاني وقد اقتبسناها واوردناها من مظانّها. فليوضحوا لنا ايضاً كيف اتفق ان النساطرة واليعاقبة وقد انفصلوا عن الكنيسة قبل الجيل السادس

١) الطب اعمال الاباء اللاتينيين (ج ٩ ص ١٠٢١)
٢) الطب (ج ٥٨ ص ٩٦٤)

اقرُّوا بسرّ التربة وحفظوهُ الى عهدنا هذا وجعلوهُ لهم حتمًا لازبًا. ولسنا بهذا الفرق نقرّع من وقع في خلده ريب في هذا المعتقد لكنهُ يجب على كل ذي عقل ألّا يدع الشك ينتابهُ بدون ان ينقّب ويطالع ويسأل حتى يبني علمهُ على ركن متين لاسيما في امر ذي علاقة وثيقة المرى مع الحياة الآتية. نتوسّل اليهِ تعالى ان يهدي عبادهُ الى الصراط المستقيم انهُ سميع وعليم

غَرَق بغداد

لحضرة الاب انستاس الكرمليّ

إذا جُلتَ في العراق او ما جاورهُ من الآفاق واصغيت الى اقوال الناس لا تسمع منهم سوى حديث واحد هو حديث الغرق غرق بغداد. وقد اخذ الملع من قلوبهم كل مأخذ إذ لا يعلمون اذا كانوا يموتون في هذه الساعة او بعد ساعات. او يكون ذلك نهارًا او ليلًا. وعلى كل فلا ترى احدًا قد طاب خاطرهُ او قرَّ ناظرهُ في هذه الايام لمشاهدتهِ طغيان مياه دجلة وخروجها من حدودها وسدودها وانفجارها الى السهول والزروع والبساتين المحيطة بالفراتين من الجانبين

وكل من رأى هذا المشهد البديع والرائع معاً يُجب ان يقف على مثل هذا الحادث في سابق تاريخ بغداد ليقابل الحال بالحال وقد طلب مني بعض الاخوان ان ارصد مقالة في هذا البحث وان ادرجها في المشرق الاغر فلبّيت طلبهُ وكتبتُ هذه السطور . .

كان دجلة في سابق الزمان نهر يجري فيهِ كل خير وتنبع من مياههِ كل ثروة وكانت اراضيهِ مخزن الاطعمة لديار العراق وما جاورها من الاصقاع احتلَّ سقيهُ الاقدمون من مشهوري الذكر وخامليهِ ومن معروفين ومجهولين من كلدان وبابليين واثوريين وفرس وپرثيين وساسانيين ويونان وغيرهم. وكان هذا النهر او كما يقول اهل العراق هذا الشط يفيض عليهم بكل بركة ونعمة. وما كان يضرُّهم الّا نادرًا والنادر لا يدخل تحت حصر الحاصر. والسبب هو انهم كانوا قد شقُّوا منهُ عدَّة انهر تتفرَّع